تجليات المكان ودلالاته على الهُويّة في شعر سعيد الصقلاوي

كوثر جمري
الرتبة: طالبة ماجستير في جامعة خليج فارس، بوشهر (إيران)
kosar.jmry@gmail.com
د.رسول بلاوي
الرتبة: أستاذ مشارك في جامعة خليج فارس، بوشهر (إيران)
r.ballawy@pgu.ac.ir

تاريخ الإرسال: 2021/10/12 – تاريخ القبول: 2021/12/26 – تاريخ النشر: 2021/12/31

Abstract
The place has dominated the contemporary Omani poet Said Al-Saqlawi poetries through his permanent association with the place, in an organic and psychological intimate connection, expressing his entity, psychological concerns, and social relations, and his poetry is full of mention of the place in its various patterns and dimensions. Perhaps the most prominent of them is what is related to the historical, psychological, patriotic, national, and religious dimensions. This research aims, through the descriptive-analytical approach, to get a comprehensive view of the manifestations of the place on the identity that Al-Saqlawi intended in his use of the places, as well as discovering the different dimensions in his poetic works. One of the most important results that we reached in this research, is that the identity in the poems of Said Al-Saqlawi is not a Unilateral ،as it includes multiple and transformed forms according to the psychological and social factors that the poet's personality has gone through, and although the place and its connotations have a fundamental relationship with the identity of the poet, it occupied an Important and obvious presence in his poems, and a large branch of his poetry revolved around places, including the Omani place and the Arab world, especially Palestine, which seized a large area of his poems.

Keywords: Contemporary Omani poetry, identity, manifestations of place, Said Al-Saqlawi.

الملخص
سيطر المكان على نصوص الشاعر العماني المعاصر سعيد الصقلاوي من خلال ارتباطه الدائم بالمكان، ارتباطاً عضوياً ونفسياً حميماً، يُعرب عن كيانه وهواجسه النفسية وعلاقاته الاجتماعية ويحفل شعره بذكر المكان بشتى أنماطه وأبعاده. ولعلّ من أبرزها ما يتعلق بالبُعد التاريخي والنفسي والوطني والقومي والديني. يهدف هذا البحث من خلال المنهج الوصفي – التحليلي إلى إلقاء إطلالة شاملة على تجليات المكان على الهُويّة التي قصدها الصقلاوي في توظيفه للأمكنة، وكذلك اكتشاف الأبعاد المختلفة في أعماله الشعرية. من أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث، أنّ الهوية في أشعار سعيد الصقلاوي ليست ذات هيئة أحادية الجانب، إذ تنطوي على هيئات متعددة ومتحولة وفق العوامل النفسية والاجتماعية التي مرّت بها شخصية الشاعر، ورغم أنّ المكان ودلالاتها لها علاقة جوهرية بهُوية الشاعر فقد إحتلّ حضوراً بارزاً وفعالاً في قصائده ودار فَرع كبير من شعره حول الأمكنة بما فيها المكان العماني والوطن العربي خاصة فلسطين التي استولت على مساحة واسعة من قصائده.

الكلمات المفتاحية: الشعر العماني المعاصر، الهُويّة، تجليات المكان، سعيد الصقلاوي.

المقدمة

كان ومازال الحديث عن الهُويّة في الواقع المعاصر أحد الموضوعات الهامّة التي تناولها كثير من الباحثين و المفكرين. ومن حيث الوجود تُنتج الهُويّة على بناء تدريجي وتختلف مع تغير خصائصها (زمنيا – مكانيا)، أي أنّها ليست جوهريّة، لكن متعلقة بالفضاء المنتج لها، لذلك «لا تعطى مرة واحدة، فهي تتشكل وتتحوّل على طول الوجود» [1]. وممّا لا شك فيه، أنّ السِّمة البارزة التي تُميّز الأمّة عن غيرها من سائر الأمم هي هُويّتها وكيانها؛ لأنّ الأمم لا تحيا بدون هُويّة. وهذه المسألة (الهُويّة) تمّ استخدامه على نطاق واسع من قبل "إبريك اركنيسون" وطرحت نفسها بقوة على الساحة العلمية والثقافية في الكَون، خاصة مع بداية العقد الأخير من القرن العشرين «فارتبطت الهُويّة بإحساس الفرد بنفسه، ولكنّها فيما بعد أخذت منحىً كبيراً في تنوع معانيها واستخداماتها المركبة، وظهرت بأشكال مختلفة فقد شملت مسألة الهُويّة العديد من الأشكال، كالهُويّة الشخصية، والهُويّة الاجتماعية، والهُويّة الوطنية، والهُويّة الإثنية، والهُويّة الأنثوية، وما إلى ذلك من أشكال» [2].

المكان تركيبة مقدسة أثبتت كيانها وحضورها الحاسم والمؤثر في الحياة الاجتماعية والنصوص الأدبية، فهو جزء لا يتجزأ من كل الكائنات وقد أكبّ الشعراء منذ العهد القديم على توظيف المكان في قصائدهم الشعرية بما يتلائم مع حالاتهم النفسية، و«المكان في الشعر يتشكل من خلال اللغة الشعرية التي تمتلك بدورها طبيعة مزدوجة، فلها بُعد مادي فيزيائي يربط بين الألفاظ وأصولها الحسية، كما أنّ لها نظاما من العلاقات التي تعتمد على التجريد الذهني، وهو فضلاً على ذلك لا يعتمد على اللغة وحدها، وإنّما يحكمه الخيال الذي يشكلّ المكان بواسطة اللغة على نحو يتجاوز قشرة الواقع إلى ما قد يتناقض مع هذا الواقع» [3]. ولذلك «فتأتي أهمية المكان كنتيجة تتعلق بالهُويّة وارتباطها بالبيئة مقابل رغبة في تطوير الذات واستعادة علاقة فاعلة بين الذات وتحديد الهُويّة» [4].

ونظراً لتعدد مسارات دراسات المكان في القراءت النقدية الشعرية، يطمح هذا البحث أن يلقي ضوئاً هاماً إلى التعرف على المفهوم العام للمكان والهُويّة لغةً واصطلاحاً، ثمّ عمد الغور في الأعماق واكتشاف الأبعاد والدلات المتمايزة التي تبرز تجليات المكان في شعر الشاعر العماني الحديث، سعيد الصقلاوي من خلال التعبير عن الأمكنة التي عاش فيها من جهة والوطن العربي من جهة أخرى، بحيث عبّر عن تأثير وأهمية دلالات المكان على الهُويّة في قصائده ونأمل أن يضيف هذا البحث بمنهجه الوصفي والتحليلي شيئاً إلى الدراسات السابقه عنه ويجيب عن الأسئلة التالية:

– ما الأبعاد التي يحمله المكان في شعر الصقلاوي؟
– ما هي الدلالات الأمكنة المرتبطة بالهُويّة في شعر سعيد الصقلاوي؟

خلفية البحث

وهناك بعض كتب وبحوث ناقشت موضوع المكان في شعر بعض شعراء العرب المعاصرين، أهمها: كتاب «جماليات المكان» لغاستون باشلار، ترجمة هلسا غالب (1984م) [5]. الصادر عن المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع. وهذا الكتاب قد اهتمّ بالمكان من حيث المكان الأليف وغير الأليف وبما أن هذا الكتاب أوّل خطوة في مجال دراسة المكان فالموضوع لم يتطرق إليه الكاتب من الزوايا المختلفة. رسالة ماجستير «جمالية المكان عند الطيب صالح في روايته موسم الهجرة إلى الشمال

أنموذجاً» للطالب نواوي سمية (2017م) [6]. جامعة محمد بوضياف المسيلة. وهي دراسة ترصد في الفصل الأول عنونته بالمكان الروائي (مفهومه وأنواعه) وفي الفصل الثاني فتحت عنوان جماليات المكان في الرواية (تقنيات التوظيف والدلالة). وهناك بحث موسوم بـ «تجليات المكان في شعر السَّريِّ الرَّفَّاء» للدكتور حازم حسن سعدون (2014م) [7]. منشور في العدد 210من مجلة الأستاذ. تناول هذا البحث في المبحث الأول: (الأماكن المفتوحة) والمبحث الثاني: (الأماكن المغلقة). وأيضاً قد سبقتنا عدة دراسات عالجت موضوع الهُويّة، والتي نذكر منها:كتاب «الهُويّة» بقلم حسن حنفي حسنين صدر عن منشورات الأعلى للثقافة عام (2012م) [8]. تطرّق الكاتب في كتابه إصالة مفهوم الهُويّة لغوياً واصطلاحياً. رسالة ماجستير «الهُويّة وتجلياتها السردية في أعمال إميل حبيبي» للطالب يوسف حسين محمود حمدان (2007م) [9]. في كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية. وقد جاءت في هذه الدراسة أربعة أبواب، الباب الأول: النقد الثقافي والباب الثاني: الهُويّة من خلال بنية المكان والباب الثالث: الهُويّة من خلال بنية الزمان والباب الرابع: الهُويّة من خلال بنية الشخصيات واللغة. ومقال تمّ نشره في مجلة لارك عام (2020م) [10]. عنوانه «الهُويّة في شعر حسن سالم الدباغ» بقلم شاكر الهاشمي وحوراء منعم، وتطرّق هذا البحث إلى أبعاد الدينية والمكانية والوطنية من موضوع الهُويّة.

ومن الدراسات التي ركّزت على تجربة الصقلاوي الشعريّة يمكن نشير إلى: كتاب «سعيد الصقلاوي شاعرٌ بحجم الألم: دراسة بنيوية لديواني نشيد الماء وأجنحة النهار» للباحث هشام مصطفى (2017م) [11]. الصادر عن دار دجلة. وقد عالج الباحث في القسم الأول من الكتاب شبكة العلاقات التي تكّون النص بدءاً من المستوى الصوتي، ومروراً بالمستوى الصرفي وانتهاء بالمستوى الدلالي، وفي القسم الثاني عالج أهمّ خرائط الألم في الديوانين، منها طغيان الألم على الصورة، وتوازن الألم والفرح والقوة، وغلبة القوى والأمل على الألم. رسالة ماجستير تحت عنوان «بنية القصيدة عند سعيد الصقلاوي (اللغة– الصورة الأيقاع)» للطالب محمد عبدالرحمن محمد سيد (2007م) [12]. عالج في الفصل الأول اللغة في شعر الصقلاوي، وفي الفصل الثاني الصورة الشعرية، وفي الفصل الثالث الإيقاع بما فيه الموسيقي الخارجية والداخلية. بحث «المرجعية التاريخية وأبعادها الأيديولوجية في ديوان "وصايا قيد الأرض" للشاعر سعيد الصقلاوي» للباحث رسول بلاوي، منشور في العدد 2 من مجلة المفكّر، عام (2020م) [13]. وقد ترصد الباحث في هذا البحث التعرّف على المادة التاريخِية، ثم تحليلها حسب الأدوات النقديّة والتعرّف على الأسباب التي دفعت الشاعر للتعاطي مع المادة الشعرية في ديوان "وصايا قيد الأرض" وخاصة في ثلاث قصائد من هذا الديوان هي: «خيلٌ وجناح»، و«سلامٌ على الرّافدين»، و«شمسُ التاريخ». و بحث آخر «الاتّساق والانسجام في وصيا قيد الأرض للشاعر العماني (سعيد صقلاوي)» للباحثة انشراح سعدي منشور في مجلة اللغة العربية، العدد الأربعون عام (2018م)[14]. رصدّت هذه الدراسة عناصر الاتّساق الخمسة (الإحالة والاستبدال والحذف، والوصل، والاتّساق المعجمي) التي يحدّث من خلالها التّماسك النصّي بترابط العناصر المكوّنة له، في حين تتّصل دراسة الانسجام برصد وسائل الاستمرار الدلالي الموجودة في النصّ من أجل بلوغ المعنى المخبوء وراء الكلمات وجمل اختارها التاص لإيصال رسالته إلى الملقي. كما نلاحظ أن الدراسات السابقة التي عالجت شعر الشاعر العماني المعاصر (سعيد الصقلاوي)، لم تتطرّق إلى موضوع تجليات المكان ودلالاته على الهّويّة في شعر سعيد الصقلاوي وموضوع بحثنا سيكون فريداً من نوعه في هذا المجال.

التعريف بالشاعر العماني المعاصر

«سعيد بن محمد الصقلاوي الجنيني، شاعر عماني معاصر من مدينة صور في شرقيّ عمان. حاصل على البكالوريوس في هندسة التخطيط من جامعة الأزهر وماجستير في تصميم الحضري من جامعة ليفربول بالمملكة المتحدة. صدرت له مجموعات الشعرية الآتية: ترنيمة الأمل (1975)، أنت لي قدر (1985)، أجنحة النهار(1999)، نشيد الماء (2004)، وصايا قيد الأرض (2015). ترجمت بعض أشعاره إلى لغات أخرى كالإنجليزية والإسبانية والفرنسية والأوردية. له دراسات واهتمامات بالتاريخ والأدب والهندسة في سلطنة عمان، وقد صدرت له كتاب «شعراء عمانيون» (1992)، وموسوعة التحصينات العمانية (2002) في سبعة أجزاء» [15].

سعيد الصقلاوي «شاعر له حضوره المتميّز بالكلمة الشّاعرة في السّاحة الأدبية داخل سلطة عمان وخارجها، وله بصماته الواضحة في (الكتابة) الشّعرية؛ بما قدّمه من ألوان التصوير الفني بالكلمة والجملة والصورة واللوحة الفنية.. وبما تناوله من موضوعات مختلفة، عبّر فيها عن ذاته ووطنه عمان، و عن القضايا الإنسانية الكبرى، وعن عوالم الطبيعة والوجدان.. وبما توفّر عليه شعره من التجديد في بناء القصيدة العمانية بخاصة، لغة و موسيقي و رمزاً.. وبما أوجده من جديد خرج به عن المألوف في الكتابة، خاصة في الوزن والإيقاع.. لكلّ ذلك استحق أن يحتلّ مكانه في المنظومة الشّعريّة العمانيّة بكلّ جدارة، وأن يكون معلماًمن معالم تطوّر الشعر العماني» [16].

في كل المجتمعات البشرية كان ارتباط الإنسان بالمكان، ارتباطاً راسخاً ومتأصّلا ونابعاً منذ نعومة أظفاره، ذلك المكان الذي ساكن في قلب الإنسان وأعماقه ويحلّ معه أينما حلّ «ذلك المكان الذي ولدنا فيه، أي بيت الطفولة إنّه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة، وتشكّل فيه خيالنا. وما هذه الطمأنينة والألفة، والتعلق بالمكان إلّا تمسكٌ بالهُويّة، فالمكانية في الأدب هي الصورة الفنية التط تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة» [17]. وإنّ عنصر المكان بهيئته وملامحه الماديّة وارتباطاته العاطفية يعطي طابعاً لتعزيز وتقويم الهُويّة بكلّ أبعادها ودلالتها. لذلك «يتخذ المكان بملامحه المادية وشكل أبنيته طابع الرّمز الدّال علي هُويّة ضارية أو قومية محددّة ... ولهذا كان حرص الإنسان على مكانه حرصا– في ذات الوقت– على هُويّته وكيانه، وذلك لأنّ الإنسان لا يحتاج إلى رقعة فيزيقية جغرافية يعيش فيها، بل يميل كذلك إلى البحث لنفسه عن رقعة من الأرض يضرب فيها وتتأصّل فيها هُويّته» [18]. فنتأمّل في التاريخ الإنساني ومنذ لحظة ما، إنّ ارتباط الانسان بالمكان، ارتباط عاطفي وتكاملي، وهو الدافع الأساسي الذي يشكلّ الهُويّة البشرية ويسبب التآلف والإنسجام مع البيئة.

مفهوم الهوية لغةً واصطلاحاً

لغة (identitiy): فإنّ المعاجم العربية مثل لسان العرب والقاموس المحيط والمصباح المنير تخلو من هذا اللمصطلح بمعناه الحديث، ولا يعدو الشرح فيها أن تكون الهُويّة من الفعل الثلاثي هوى و «هَوَى بالفتح يَهوِي وهَوِيًّا وهُوِياناً وانهَوَى: سَقَطَ مِن فوقُ إلى أَسفل، وأَهواهُ هو يقال: أَهوَيتُه إذا أَلقَيتَه من فوق» [19].

كما وردت لفظة الهُويّة بضم الهاء وكسر الواو وشد الياء في اللغة العربية للتعبير عن ماهية الشيء – « ويقال (هُوَ) ضميرٌ للغائب المفرد المذكَّر، ويقال للمثنى(هُمَا) وجمع المذكَّر (هُم). ويقال للمؤنَّث المفرد (هِيَ)، وللمثنَّى (هُمَا) وللجمع (هُنَّ) والهوية: حقيقة الشيء او الشخص المطلقة المشتملة على صفات الجوهريَّة».

والهُويّة: «حقيقة الشيء او الشخص المطلقة المشتملة على صفات الجوهريَّة» [20].

ولعلّ الشريف الجرجاني يوضح معناها أكثر فيقول: «الهُويّة: الحَقِيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النَّواة على الشّجرة في الغيب المطلق الهُويّة السَّارية في جميع الموجود اتما إذا أخذ حقيقة الوجود لا بشرط شيء ولا بشرط لا شيء» [21].

اصطلاحاً

اصطلاح الهُويّة ينطلق على «مقدار ما يحققه الفرد من الوعي بالذات والتفرّد والاستقلالية، وأنّه ذو كيان متميز عن الآخرين، والإحساس بالتكامل الداخلي والتماثل والاستمرارية عبر الزمن، والتمسك بالمثاليات والقيم السائدة في ثقافته» [22].

ونقل عن بعضهم قوله عن الهّويّة بأنها «السِّمات المشتركة التي تتميّز بها جماعة معينة من الناس وتعتز بها، أو هي مجموع المفاهيم العقائدية والتراثية لجماعظ ارتبطت بتاريخ وأصول إنسانية ومفاهيم فكرية أدّت إلى إفراز سلوك فكري وقيمي مترجم بأدب وفنّ وفلكور جعل من تلك الجماعة ذات شخصية مميزة عن غيرها. فالهُويّة إذن مجموعة السِّمات الروحية والفكرية والعاطفية الخاصة التي تميّز مجتمعاً بعينه وطرائق الحياة ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات وطرائق الانتاج الإقتصادي والحقوق» [23].

وأيضاً «قد تنوعت تعريف الهُويّة بين الخصائص النفسية والحضارية والاجتماعية والسياسية، فقد اعتبرها البعض الإدراك الحضاري المتميز للمجتمع الذي يتبلور في الشعور بالانتماء وفي التعبير عن هذا الشعور سياسياً، وتناولها البعض الآخر من خلال السِّمات النفسية والاجتماعية والحضارية، فمنهم من حدّدها بالسِّمات التي ترتبط بالفرد نتيجة لانتماء للمجتمع والسِّمات المميّزة للدولة القومية والتي تعبّر عن الواقع الاجتماعي والقتصادي تاريخ المجتمع» [24].

مفهوم المكان لغةً واصطلاحاً

لغة: معظم التعاريف اللغوية تحصر مفهوم المكان في المكانة والموضع، فقد جاء في "لسان العرب" مادة "مكن": «المكانُ: الموضع، والجمع أَمكِنة كقَذَال وأَقذِلَةٍ، وأَماكِنُ جمع الجمع والعرب تقول: كُن مَكانَكَ، وقُم مكانَكَ، واقعد مَقعَدَك، فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه، وإنما جُمِعَ أَمكِنَةً فعاملوا الميم الزائدة معاملة أصلية» [25].

لفظ "مكان" تحت الجذريين اللغويين "كون" من الكون أي الحدث، والجذر اللغوي "مكن".

كما جاء في المعجم الوسيط: «المكَانُ: المنزلة، يقال: هو رفيع المكان والموضعُ جمع أمكِنَةٌ، والمكَانَةُ: المكان بمعنيية السابقين» [26]. فالمكان في المعجم الوسيط حمل مجموعة من الدلالات والمعاني منها: المنزلةُ والموضعُ، في حين لو عدنا إلى مؤلف بطرس البستاني "محيط المحيط" لوجدناه يتّفق مع المعجم الوسيط، إذ قال المكان: «الموضِعُ أو هُو مَفعَلُ من الكون، جمع أمكنةٍ وأماكن وأمكُن قليلاً، ويقال هذا مكانُ هذا أي هذا بَدلهُ، وكان من العلم والعقل بمكان أي رتبةٍ ومنزلةٍ» [27].

ويذهب "الخليل ابن احمد الفراهيدي" إلى القول أن «المكانُ في أصل تقدير الفِعل: مَفعل، لأنّه موضعٌ للكَينُونة غير أنّه لما كثُر أَجروهُ في التّصريف مُجرَى الفَعال، فقالوا:مَكنّا له، وقد تمكّنَ ، وليس بأعجب من تَمسكَنَ من المِسكِين، والدليل على أنّ المكان مَفعل، أنّ العرب لا تقول هو منّى مَكانَ كذا وكذا إلّا بالنَّصب» [28].

وفي القرآن الحكيم ورد لفظ المكان بمعنى المستقر ومنها قوله تعالى ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ [29]. أي اتخذت لها مكاناً نحو الشرق. وقال الله تعالى: ﴿وَ رَفَعْناهُ مَكاناً عَلِيًّا﴾ [30]. وقد وردت بمعنى المنزلة الرفعية في آيات كثرة منه قوله تعالى و﴿اسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [31].

اصطلاحاً: أمّا عنصر المكان من ناحية الاصطلاحية، فقد احتلّ أهميةً متميزةً ونجد لها أنّ لها كثير من الدلالات واقتحمت العديد من الميادين المعرفية ووجدت هذه الكلمة صداها في مختلف المجالات العلمية والأدبية. «فعلماء الفيزياء مثلاً أكّدوا على كون المكان متحركا وذلك على خلاف نظرية أرسطو فيه، وأثبت هذا الرأي كل من نيوتن و أينشتاين، كما أكّد أينشتاين على نسبيته» [32].

فالمكان عند الحكماء هو ذلک «السطح الباطن من الجسم الحاوي المماسّ للسطح الظاهر من الجسم المحوي، وعند المتكليمين هو الفراغ المتوهَّم الذى يشغله الجسم وينفذ فيه أبعاده» [33].

أمّا المكان هندسياً فهو وسط غير محدود يشتمل على الأشياء وهو «متصل ومتجانس لا تمييز بين أجزائه، ذو أبعاد ثلاثة هى الطول والعرض والارتفاع... وإذا جمع بين الزمان والمكان في تصور واحد نشأ منهما مفهوم جديد هو المكان الزماني، وله أربعة أبعاد هي الطول والعرض والارتفاع والزمان» [34].

أبعاد المكان:

إنّ استخدام الأمكنة في المقطوعات الشعرية وتوظيفها ليس بهدف تأطير أحداثاً فقط، وإنّما تكون هناك أسباباً مختلفة لهذه الأمكنة، لأنّها تحمل دلالات وتعكس أبعاداً فنياً لتظهر رؤية الشاعر وتطلعاته، لذا نجد توظيف مكان ما والتأمل عليه دون الآخر.

ومن أهم الأبعاد التي استخدمها سعيد الصقلاوي في قصائده تتمحور حول:

أ- البُعد النفسي:

قد اهتمّ الشعرا والأدباء بالمكان وكان ارتباطهم به وثيقاً، بحيث يستطيع المكان أن يُخبرنا على ذات الشاعر، فمن خلاله يتمّ إبانة نفسية الشاعر، وقد يكون المكان باعثاً في تحوّل حياته وازدهاره وتقدّمه، وهو يساعدنا على دراية أفعاله ومايختلج في صدره من الأحاسيس والمشاعر، فهو مرآة العاكسة لهذه المشاعر والمزاجية، لهذا كان مُعظم اهتمام الشعراء بالمكان في النصوص الأدبية «إنطلاقاً من الاستجابة النفسية له والتواجد في محيطه، إذا أكثر أبعاد المكان حميمة وانتشاراً، هو البعد النفسي» [35]. وهذا البُعد يؤثر في الذّات البشرية سلباً وإيجاباً، وهو«البُعد العاكس بما يثيره المكان من انفعال سلبي أو أيجابي» [36].

◄البحر:

رغم تعدد السِّمات الطبيعية التي جلبت نظر الإنسان وفكره في ثباته وتجولاته يُعدّ البحر من أكثر القوى الكونية مهابةً وجمالاً، وهو مكان لامتناهي وانفساح كبير ومصدر رزق وحياة للإنسان، «كما يُعدّ المكان الأرحب والملهم الأكبر لمعظم الشعراء العالم ومبدعيه، وقد ذكروه في أشعارهم بموجه وزبده، وظلمته، وسفنه مختلفين في أوصافهم له وتشبيهاته». (37)

«ولعلّ سبب توظيفهم للبحر في أشعارهم هو أنّه عالم غير متناه من الدلالات والرموز، فالبحر يرمز إلى الموت والحياة والغرق والثروة والسعة والانفتاح والأمل والحب والرزق والهدوء والثورة والمجهول والصفاء والغفران، وغالبا ما استخدم البحر ودلالاته في المديح لإظهار فيض الممدوحين وكرمهم وعطائهم». (38)

فالبحر أحد الأنماط الطبيعية التي تغنى به الصقلاوي، ووظَّفه لمعان عدة. وقد ربط بين ما يعانى من أحاسيس وخواطر وبين البحر، لتوضيح الحالة النفسية التي يعيشه، فقد قال الشاعر في قصيدة "رفرفات النور": (39)

وقَلبُک البَحرُ/ أمواجُه الدُّرُ/ والحبُّ للإنسان

في هذا المقطع يمزج الصقلاوي بين الواقع والخيال في تشكيل الصورة المكانية الشعرية وقد حاول إثبات مجموعة من صفات حبيبته، وشبّه قلب حبيبته بالبحر الزاخر الممتليء والذي تتدافع أمواجه بعضها بعضاً، ليدّل على شدة سخاءها وكرمها وكمال أنوثتها واكتمال نضوجها، لما تمنحه للناس من خيرات وشفقة وشغف فهي تماما مثله لا يبخل على الناس وصوتها كالغناء، يشعر أنها يخفف عن لواعج القلب ويزيل الحزن والأسى.

لقد تعددت الأنماط النفسية للبحر في قصائد الصقلاوى، بحيث لا تكاد صفحة من ديوان الشاعر تخلو من ذكر البحر ومتعلقاته، من الزوارق والسفن والأشرعة، و...الخ. فليس عجيباً على شاعر ترعرع وتكونت شاعريته على ضفاف بحر عمان، أن يحضر البحر حضوراً دافقاً ويعبّر عن حرارة ضميره وأنّات قلبه في مقطوعاته الشعرية ويقول في قصيدة "إهداء" :(40)

ولأجلك أقتحم البحــرا/ ولأجلك أفترش الصخــرا/ ولأجلك ألتهم الجمــرا/ ولأجلك أستحلي المــرا

بما أنّ البحر في الأبيات السابقة رمز للمسافات الشاسعة، فقد صوّر الشاعر المشغوف البحر لبيان معاناته ومصارعة أشواقه الثُكلى وعن واقعه المرير ومسيرته الشاقة للوصول إلى المحبوب، كأنّه يحمل بين ضلوعه طاقةً هائلةً وقوةً صارمةً، لا تستطيع مظاهر الكون احتمالها. فهذه الصور والتشبيهات الخيالية الفذة المعبّرة عن شعور وإدراك الشاعر، تجسد الفراق والبعد بين البحر والمحبوب، وما هذه الأماني التي يذكرها الشاعر إلا من غيض الزفرات النفسية ولهيب أحاسيسه.

تلوّن البحر بألوان شتّى في دواوين الشاعر، فاستخدمه في الأبيات التالية بمعناه التقليدي المعروف، الدالّ على السطح المائي المعروف في قوله: (41)

أهفو إليك كزهرة تشتاق ريح صبا أو جدول متدفق لا يعرف الوصبا

أو مبحر من شوق يستهل الصعبا لا تحزني ودعي الأسى والهم والنصبا

إني أحبك والهوى في الروح ما نضبا يغشي جوانح خاطري كالبحر مضطربا

في لوحة جديدة، يتبيّن لمن يتذوق الشعر أن أبيات القصيدة مفعمة بالحب والهيام، مليئة بالشعور الوجداني التي تدور بين كل عاشقين، فاستمدّ الشاعر من الصور والتراكيب البسيطة والسهلة، وأطلق فنّ الوصف وخياله الشعري على ما يصفه من مظاهر الطبيعة والنبات كالزهور والجدول والبحر المضطرب والمتأجج، فهو بمقدرته الشعرية التصويرية كغيره من الغزليين رمى أحاسيسه ولواعجه على قلب معشوقته بألفاظ رقيقة وعذبة وخالية من الغموض والتكلّف، حين جعل الحب محور ارتكاز للحديث في القصيدة.

ب- البعد الديني:

يُعتبر البُعد الديني من أهمّ الأبعاد التي يرتبط بالمكان بحيث ترك الدين في شعر سعيد الصقلاوي بصماته على الشاعر، ولا يفرغ ديوان من دواوينه إلّا وكان له أثر ممتاز وفريد من نوعه واكتَرثَت مقطوعاته الشعرية بتوظيف بهذا البُعد بمختلف مصادره ومشاربه وذلك باستخدام نصوصه ومضامينه المتنوعة.فـ «انفتاح المكان على المقدّس، يتجه إلى البحث في علاقة التجربة الشعرية في النص المقدّس، باعتباره أساساً دينياً استلهم علاقة المكان بأحد االمكوّنات الثقافية الأساسية» [42].

◄فلسطين

أحرزت مدينة فلسطين بكبير عناية، وعظيم اهتمام من الشعراء والكتّاب الأمة الإسلامية والعربية لما لها من مكانة دينية عظيمة، وتعددت صورها وفقاً للمراحل التي مرّوا بها في تجربتهم الشعرية، فاستقصى الكلام عنها في القصائد الطوال، والكتب الثمينة والخالدة، وإن رشدّ ذلك على شيء، فإنّه يرشدّ على الإدراك بمكانة وإجلال هذه المدينة المقدسة. إذن إنّ العناية بها في الأدب ليس وليد العصر، إنما منذ إن وضعت الحرب الأولى أوزارها إلى وقتها الحاضر.

لعلّ قصيدة "الفدائي" من أهم القصائد في شعر سعيد الصقلاوي، فاستلهم فيها مدينة فلسطين وارتقى بها إلى مستوى الدلالي والرمزي، فالشاعر يعبّر عن المكان المقدس في هذه المدينة ويتمنّى عودة المواطنين إلى أرضهم المحتلّة: [43]

قد فقد البيدر والحقل وكرم العنب/ ومهد عيسى والنبيين وإسراء النبـي/ فيا فلسـطين أبشـري/ بيـومنا المرتقـب

قد برزت صورة المكان الفلسطيني واضحة في شعر الصقلاوي، ولاسيّما مدينة القدس لها مكانة دينية وخصوصية وحيدة؛ فهي من البقاع المقدسة والمباركة التي تستقطب الأديان السماوية على اختلافها (إسلامية ومسيحية ويهودية)، فكان لمسجدالأقصى حيّز مؤثر في قلب الشاعر، فهي مسرى الرسول ومهبط الأنبياء، فصوّر الشاعر معجزة النبى (ص)؛ الإسراء والمعراج الخالدة التي إمتلأت بها القدس عزّةً والأقصى تنزّهاً عندما أسرى رسول الله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، محاولاً من خلال ذلك تذكير الأمّة الإسلامية بمهابة شأن نبيها العظيم عند الله سبحانه وتعالى.

ويذكر الشاعر في الأبيات السابقة البيدر، والحقل، وكَرم العنب ليدلّ على التجذر والتحالف مع المكان، معلناً تمسّكه بفلسطين التي كانت مأهولة وعامرة وتعني للإنسان الحياة فيبشّر استعادة الأرض المحتلة والتراب المغتصب والعودة الوشيكة إلى أرض الأنبياء والرسل.

حاول الشاعر في مقطوعة أخرى أن يظهر حجم معاناة التي يعيشها أبناء فلسطين وتصور حالة المسجد الأقصى بعد النكسة، فيقول: (44)

هذا الذي / باسمِهِ / تُغتالُ أُمنيةٌ/ وباسمِهِ/ تُسفَكُ الأَخلاقُ والقيَمُ/ وباسمِهِ/ تُشنَقُ الأَزهارُ يانِعَةً/ ويَستَباحُ السَّناءُ الطّهرُ / والحرمُ

في لوحة دينية ومأساوية، سخّر الشاعر ألفاظه المعبّرة ومشاعره وملكته الشعرية ليظهر جرائم المحتل الغاشم المستبد الذي عاث في الأرض الفلسطينية إجراماً وتنكيلاً من إنتهاك حرمه وجور وبطش الصهاينة، وإن ما نابت إليه المدينة من فقر وجوع إلاّ بعد وقوعها تحت السيطرة اليهودية، وحين لم تقتصر محاولات اليهود في الاعتداء على الأرض، بل اتّسعت إلى المقدسات ولاسيّما الحرم (المسجد الأقصى)، فإنّ وجود هذا المسجد المبارك تحت الاستيلاء الإسرائيلي خَلقَ في النص الشعري هيئة واضحة، ممّا جعله تنال على حيزّ ذو مكانة عالية وأهمية كبيرة، فلذلك الشاعر يكشف عن حزنه الشديد والصورة الواقعية الذي تعيشه المدينة المقدسة، فمشاهد الاحتلال مستولية في كل مكان.

◄الشام

يتعلق على البلاد التى يقول عنها الإصطخري: «أمّا الشام فإن غربيها بحر الروم، وشرقيها البادية من أيلة إلى الفرات، وشماليها بلاد الروم وجنوبيها حد مصر وتيه بني إسرائيل» (45) وحظيّت أرض الشام بالعناية الدينية ولها حيّز خاص ومتمايز لدى الشعراء والكتّاب، فقد ورد العديد من الآيات والأحاديث النبوية والآثار الدالة على منزلة الشام ومركزها الديني، وكان من جملة الأدعية دعاء النبي بالبركة للشام، فقال: «اللّهم بارك لنا في مكتنا، اللهم بارك لنا في مدينتنا، اللهم بارك لنا في شامنا، وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدّنا» (46).في قصيدة "في عيون الشام" يورد ذكر الشام ونلاحظ تاثير القرآن في صورة (المسجد الأقصى) بوضوح عند الشاعر العمانى سعيد الصقلاوي، ولا غرابة في ذلك إذا علمنا تعهّد الشاعر بقيمة القرآنية والإسلامية عندما يقول: (47)

وحروفُ الشّامِ نَجماتُ البُطولاتِ وصليبُ الشّامِ تَقديسُ البَراءاتِ

وأذانُ الشّامِ تَوحيدُ الرّسلاتِ وكِتَابُ الشّامِ أسرابُ الحَماماتِ

وفي مشهد آخر وفي ثنايا الأغراض الشعرية وبخاصة المدح والفخر يكشف الشاعر عن انطلاق الرسالة السماوية من بلاد الشام وعن الصور المشرقة المتفائلة لقدسية المسجد الأقصى وبركتها وطهارتها لدى أصحاب الديانات المشهورة، وقد تحمل سطور القصيدة معان كثيرة مفعماً بالحياة والحيوية مثل: (أغاني الشام،مغاني الحّبّ، جمال الشام) ولصيقاً بالتاريخ والهُويّة الشامية كـ: (شهداء الشام، صليب الشام، أزهار النبوّات)، وكلّ هذه المفردات لها تعبيرها وصداها عند المتلقي وتثير الحس الإنتمائي عندما يصف الأماكن الدينية من كنائس ومساجد.

ج- **البُعد القومي:**

إنّ التركيز على المكان في الإنتاجات الأدبية يمنح الشاعر أو الأديب مجالاً واسعاً لترسيخ الهُويّة و«الانتمائية الوطنية، توسع من دائرة الانتماء من نفس الإنسان، وتقوّي من أبنية الوعي الانتمائي لديه، وتشحذ في داخله مشاعر الحسّ القومي» (48).

نلاحظ أن الصقلاوي قد نهض مع الأحداث والوقائع السياسية الأمّة العربية التي هزّت الكيان الوطن العربي، وتأثّر منهما بشكل كبير، وعبّر عن هذه الأحداث بصدق وأمانة، فلم يترك قضيّة تهمّ الإنسان العربي إلّا وله كان رأي أو تفسير، ومحاولاً أن يعبّر عمّا في نفسة من أحاسيس تجاه إخوانه العرب، ولقصائده دور جسيم في إثارة الشعور الوطني في ضمير أبناء الأمة والانتماء للمكان ومواجهة الأعداء، والدعوة إلى التحرير، ورفض الاستعمار والذلّ والهوان.

◄النهر

الطبيعة منحة إلهية ونعمة ربّانية تسحر الألباب والعقول، وقد تفاعل الشاعر مع طبيعة مدينة فلسطين الخلّابة التي كست سهولها وجبالها، فزيّن قصائده بمجموعة من المناظر والصور الباهرة. النهر بوصفه جزءاً من بنية الصور التي استرفدها الشاعر من بيئته الخاصة، ولم تكن في كلّ المشاهد على وجه الحقيقة وإنّما استخدمها في صور بيانية مجازاً وغالباً مايكون ذلك بعاطفة صادقة في سياق الوصف.

الصقلاوي في قصيدة "ألأنك حرّ تُعدَم" يمزج بين الواقع والخيال في تشكيل الصورة المكانية يلبس النهر ثوب الحرقة والحزن بتراكيب وتعبيرات مؤلمة في قوله: (49)

سَرَقوا مِن أهدابِ الأطفالِ الصُّبحا/ وسَقَوا أزهارَ الأيامِ المِلحا/ صَلبوا في دَفقِ النَّبضِ الحلمَ وناحوا/ حرقوا في الشريانِ الأفراحَ وصاحوا/ فالنَّهرُ دمٌ/ والليلُ فَمٌ

في السطور السابقة بذل الشاعر قصارى جهوده في رسم الصورة الحقيقية والمعاناة النفسية والجسدية وعظمة المأساة التي يحملها الشعب المضطهد من خلال الممارسات الجنائية البشعة والجرائم المشينة للعدو الجارح، ومن الملاحظ أنه استلهم هذه المشاهد من جوّ الثورة وقد لوّن قصيدته بلون الدمّ الذي تتركز على دماء الشهداء الأبطال الذي يجري في النهر المتدفق والمنهر الجريان، لكثرة انصبابه. وقد توجّه بذلك إلى عدم تصور الشهيد بصورة مادية وملموسة، وإنّما ألِفَ أن يتيح مجال للقاريء كما يظنّ للشهيد بالصورة التي يستأهل به. فاعتبر الصقلاوي الشهيد رمز البطولة والبسالة، وهو نموذج التضحية والتبرّع بدمه ولحمه من أجل الدفاع والصيانة عن الوطن، فلا غرو أن تصبح هذه المناظر والقصائد الخالدة إلى تغاريد وأناشيد حماسية تثير روح المكافحة والمنازعة.

وفي مقطع آخر من القصيدة ذاتها "ألأنّك حرٌّ تُعدَم" يستخدم الشاعر الصورة المكانية (النهر) مرة ثانية ليستشرف على المستقبل المشرق ويوسّع منافذ الرؤية فيقول: (50)

مَنعوا الطيرانَ عن الأطيار، فحلقتاَ/ قبضوا الجريانَ عن الأنهار، فواصلتاَ/ حَجبوا اللمعانَ عن النجماتِ، فَنَوَّرتاَ/ حَبَسوا التغريدَ عن العصفورِ، فَغَرَّدتاَ/ والعطرَ عن الأزهارِ، فأرجتاَ

في هذا الجوّ المفعم بالتضحية والجهاد يرى الشاعر أن لا يمكن تحرير الوطن وشمّ رائحة التحرّر والاحتفاظ بالهوية الوطنية الّا بالمقاومة والصمود. فمن المتأمل يظهر لنا من خلال الأسطر القصيدة أن الشاعر عمد إلى تكرار "ألأنّك حرٌّ تُعدَم" ثلاث مرات، فيكون التكرار بؤرة الدلالة القومية ليصّور آلامه المكنونة وأشجانه الموجعة، فيصخب بقوة وبكلّ وجوده حيال ما حلّ

بالوطن من حرب واغتيال واعتداء، وأنّ الثّوار والمناضلين على أتمّ الإستعداد لعملية الاستشهاد والدفاع عن أرضهم وفي السطرين الأخرين يكرّر عبارة "الباطل يهزم" مرتين ليزفّ التباشير باضمحلال الباطل وظهور بزوغ الفجر والنصر من وسط هذه الدهمة القاتمة، فحقّق التكرار ترديداً موسيقياً يتآزر مع الثورة التي تهيج في نفسية الشاعر ويضيف إلى إيقاع القصيدة ضرباً من التناغم والانسجام.

◄القدس

لقد اكتسب حضور اسم "القدس" بعناية كبيرة واهتمام واسع من قبل الشعراء المحدثين والمعاصرين وسعيد الصقلاوي من جملة هؤلاء الشعراء ومن أبرز الذين قد غرفوا من واقع القدس في جلّ أعماله الشعرية. وممّا لاشك فيه أن لم تحظ بقعة من بقاع العالم بما حظيت به هذه المدينة من تبجيل وتمجيد وكذلك من أعرق المدن في العالم وباعتبارها أرض لله المباركة والمقدسة حرزت منذ أحقاب وأمد طويل على مكانة جليلة في تاريخ الإنسانية؛ فهي مهد الديانات الإسلامية وحظوة للحضارات، تحنّ إليه النفوس وتستشعر به الأفئدة وتولع به الأرواح. هذه المدينة المقدسية لا تخصّ أهل فلسطين فحسب، وإنّما تخص شعب العرب جميعاً في أي قطاع كانوا، لأنّها بسيطة عربية وأوّل قبلة المسلمين.

لقد رحبّ الصقلاوي الحديث في دواوينه الشعرية، قضية فلسطين بشكل عام وقدسية القدس بشكل خاص وربّما أكبر قضية عربية اكتنفت بها قصائد الشاعر، وفي قصيدة "الفداء" حمل كمد القدس بين ضلوعه فأرسم لنا لوحة آملاً العودة إلى مدينة الأحلام فيقول: (51)

فالقـــدس لابـــد وأن/ تعود رغـــم الغيهـب/ والشمس لابد لها الإشراق رغم السحب/ وراح فيهـــم هـــــادراً/ كالليـــث وقت الغضـــــب/ يصرخ فيهم: إنّمـا الحق لنا.. للعـــرب

نكاد نلمس بأناملنا عاطفة الوَلَه والشوق إلى مدينة القدس الشريفة وهي ترفرف في مهجة الشاعر في حين يصوّر لنا في الدفقات الشعرية السابقة، تصاويراً حياً وفعّالاً بلغة ناصعة وواضحة للواقع القدس الأليم من هروب ومناص أبناء الشعب حصيلة الاعتداءات المتوحشة التي يتعرضون من قبل الصهيون سافراً من خصام جاف وبغض شديد لهذا الشعب العريق، وفي مشهد آخر يشير أنّ القدس مهما طال ليله الدامس والداكن لابد يوم أن ينجلي، وللتكبيل أن تتحطّم، ولابدّ أن يتنعّم بالحرية والنصر المنشود والاعتزاز والشهامة، فسترفع راية النصر والشمس ستشرق في أرضها المباركة والورود ستزهر والأشجار ستثمر والعدو الجائر سيرحل. في الأسطر الأخير من القصيدة تبرز بوضوح في رؤيته الفدائي صورة المقاوم الفلسطيني الذي أضحى وثيقاً ومنيناً، كما توحي إلى قضية فلسطين بأنّها قضية العرب أجمعين، فداهيتها داهية للأمّة كلها وتحريرها يعنى تحرير الأرض العربية من اليد الغاصب اللئيم،كما يؤكد في كلمة "العرب" أنّ كل عربى له الحق فيها ومسئول عن زوالها وفقدانها وكذلك يلحّ على التمسّك بالعودة إلى المدينة وإنقاذها من الاحتلال، بالإضافة إلى إثبات هُويّتها العربية.

والشاعر سعيد الصقلاوي في قصيدة رائعة أخرى باسم "صوت الحرية" يعبّر عن الوضع الكئيب في القدس وينشد: (52)

واصـفر وجه القـدس مـن/ كـمد ومن نزف شـديد/ أحشـاء غـزة مـزقـت/ وتصـايحت خلـف الحـدود/ يا عرب تلكم دارنا / مذبوحة بيد اليهود

جاءت هذه اللوحة في البُعد الكفاحي مكمّلة للوحة السابقة بحقيقة القدس وواقعها الفلسطيني من خلال تصويره لهذه المدينة وإصالتها وعراقتها، وما فعله الصهيون من دمار وتخريب وتغيير ملامحها. تلهبّ القدس مشاعر الصقلاوي، فيخاطب العرب بحديث القلوب ويبثها شجونه، ونرى الشاعر يصف الضعف والأحادية والحاجة إلى العون، ويبكي بكاءً مُرّاً لما حلّ بالقدس من جنايات وجراحات وسفك الدماء، فيدعو ويستغيث العرب للإيقاظ من نوم الغفلة ليسمعوا النخوة العربية فينهضوا إلى الثورة والنضال والجهاد، ولتحرير ولأخذ ثأر القدس ولعدم الرضا بظروفها المعيشية وكذلك الصمود والمواجهه والثبات، ورفض وجود العدو في أرض قدس ومايفرضه عليها من واقع مأساوي، وأيضاً نلاحظ أنّ لغة الشاعر في هذه القصيدة قد تميزّت بأسلوب تتناسب بطبيعة الأحداث الفلسطينية فكانت الألفاظ حادة وجزلة لتؤثر في السامع وتؤجّج في نفسه روح الجهاد لمواجهة الصهيون.

ج- البُعد الوطني:

الوطن يشتمل على الأرض والهُويّة، والحديث عن الوطن يعتبر من أهم الموضوعات الذي اهتمّ بها الشعراء والأدباء العصر المعاصر في تجربتهم الشعرية، فهو يُعدّ الركن الأساسي من كيان الإنسان، ولا يجد الإنسان أروع ولا أجلّ من المكان الذي شهد الميلاد، والصبا والكهولة فيه، فالوطن «ارتباط الإنسان بوطنه وبلده مسألة متأصلة في النفوس، فهو مسقط الرأس ومستقر الحياة، ومكان العبادة، ومحلّ المال والعرض ومكان الشرف، على أرضه يحيا ويعبد ربّه ومن خيراته يعيش ومن مائه يرتوي، كرامته من كرامته وعزّته من عزّته به يعرف وعنه يدافع» [53]. ولم يتوقف هاجس الوطنية عند حدود معيّنة فيدور حول قضايا الوطن ومعضلاته الإجتماعية والسياسية، وبيان الحبّ والشغف والحنين حيال الوطن وأبناء الوطن وغيره.

◄ عمان

إنّ تمسّك الإنسان بموطن ولادته والمكان الذي عاش فيه طفوليته، فهو إشراق الرجاء الذي استند عليه لتحقيق مكانته وقِيَمه المثالية، وبما أن الأرض والوطن جزء لا يتجزأ من تركيبة الإنسان، نالت قضية الوطن قسطاً وافراً وحيزاً هاماً في نصوص الأدباء ، والشاعر العماني سعيد الصقلاوي من الشعراء الذين ظهرت ظاهرة الوطنية بشكل بيّن في أسطر قصائده وبلغ تأثره بالمكان العماني بشكل واسع، فأجاد نقل حنينه ومشاعره الجياشه لوصف وطنه (الترنّم بحبّ عمان) إلى حد الذي جعل يطلق على إحدى قصائده اسم "تحية إلى عمان" [54].

وفي ذكر شوقه الكبير لبلده ينشد الشاعر:

أعمان ياوطن الفدى/ أبقاك ربي سرمدا/ عملاقة، سباقة / للمكرمات على المدى

استهلّ الشاعر قصيدته بأسلوب ندائين مختلفين لكي يعبّر عن فكرة معينة، وهي نداء الوطن الحقيقي، فظهر عن مدى حبه وانتمائه لوطنه الذي غذّى فؤاده وأفعم جوانحه، فبيّنه بشكل طريف ومتميز. بحيث يتّضح من المقطع الشعري السابق أنّ الصقلاوي تفادى روحاً ودماً وحرفاً لأجل أرضه، فصّور المكان بالصور المدهشة والمتنوعة التي أضافها إلى شاعريته وزخرها بالحيوية والحركة؛ فسأل اللّه عز وجلّ لوطنه الخلود والبقاء، وأشاد بأمجاد الوطن والأبطال الذين كافحوا من أجل السلام والاستقرار، ودعى إلى الفخر والعتزاز، ووصف ثراها وأهلها بالأطهار.

واستمرّ مصارحة المكان بالحب الصادق والعميق إلى عمان، فمن أروع ما قال في قصيدة أخرى بعنوان "وطني": [55]

وطني الذي شرف الفخار به على طول المدى/ صيغت مآثره على جيد الزمان قلائدا / فإذا دجى ليل العزائم كنت يا وطني هدى / وإذا ظمى غرس الشمائل كنت أنت الموردا/ وإذا خبا النجم المنير غدوت نجماً واقدا

فقد كانت قصائد الوطن في مقطوعات شعرية الشاعر ذات دلالات عميقة وأبعاد واسعة لمّا أنّها حطّمت النمطية والرتابة وأبان عن ذاتية الشاعر ولغته الوجدانية الموحية والمعبرّة. فصرّح لنا في أسطر الأبيات روعة التصوير وجمال العبارة نحو: (شرف الفخار، جيد الزمان قلائدا، دجى ليل العزائم، النجم المنير، غدوت نجماً واقدا) وهكذا تتضامن وتتساعد الصور والأخيلة الفنية الحّية على إظهار فكرة وقوة إرادة الشاعر وإبلاغ عواطفه الرهيفة إلى نفس المتلقي.

ويمكن هنا إيراد جزء من قصيدة "ترنيمة أمل" الصقلاوي، لكي نلاحظ ارتباطها بغيرها من المفردات التي كان حين يذكرها يقصد بها الوطن (عمان) بأبعادها الوطنية: [56]

ليلى / يا حبي الأخضر/ يا قلباً بالايمان تفجر/ يا نهر حنان يتحدر/ من خلف سجوف الحزن أناديك/ من قعر الألم الأصفر في الأعمان أناديك/ آهات مذبوحة

من خلال الشواهد السابقة نرى كيف امتزجت حب الوطن بمشاعر حبّ المحبوبة بأسلوب غزلي فاتن على عادة الشعراء الغزل، تنقلنا على شخصية ثانية يرمز الشاعر إليها وهي شخصية الوطن، فتظهر عمان بصورة ليلى العامرية وسعيد الصقلاوي عاشقها المجنون، الذي فتن بجمالها، فبيّن عن حبّه وأغرم بحروفها، وأيضاً استدعى صورة الوطن من طريق النداء وكأنّه شخص يناديه وينتظر الجواب منه وفي خطاب الوطن استحضر الشاعر، اللون الأخضر ليكشف عن حبه الطاهر والصادق لوطنه وفي نداء يا قلباً..، فإنّه يشدو بنشيد الفؤاد الملهم بهمس الوطن فجعل الوطن قلباً داخل جسده الذي يتدفّق ويبعث النور والإيمان منه وفي تصوير المكاني البديع يا نهر..، صرّح ولاءه العميق والشوق لوطنه المعطاء حناناً ورأفةً. كما يعبّر في الأبيات الاخيرة من هذه الجزء من القصيدة عن مهجته الذائبة في صبابة أرضه والذي يزفر آهات لهفته وأخذ يكرّر ألحانه المعبّرة وأغاريده المضطرمة بنار الشوق. وفي قصيدة أخرى بألفاظ رقيقة وعذبة تتجلّى مظاهر الوَجد واللهفة تجاه الوطن، فيقول المهندس العماني (الصقلاوي): [57]

الواهبون المبدعون ضميرهُم / لله والأوطان والإنسان/ والمبحرون إلى مرافئ فخرهم / لا الريح تثنيهم ولا الطوفان

وطني الحبيبُ سواحِلاً وخمائلاً/ ومواكباً قد عزّها الرحمنُ/ ذوّبت حبك في الشَغاف وفي دَمي/ أزلاً به يُستعذبُ الخفَقانُ

إنّ السطور السابقة من أصدق الشواهد في حبّ الوطن بحيث نجد أنّ الشاعر في أجمل صورة يرسم بريشته الشعرية اعتزازه وتعلقه ببلده، تلك القطعة الكامنة في حنايا القلوب ويصوّر حال مدينته وما بها من تفاخر وشموخ «وهو يقول لنا بداية إن ما يملأ ضميره المخلص لهو أغلى الموجودات الثلاثة: لله والأوطان والإنسان.. ونراه مولعاً بعمان وطنه الحبيب: سواحله وخمائله ومواكب عزّته من بني شعبه بل يستمد من مفردات الطبيعة في عمان مفرداته وإيقاعاته وصُوره مُبحراً إلى المرافئ زهوه وفخاره تارةً، ومُذَّوباً حُبَّ وطنه الأزليّ في دمه وخلايا تكوينه». [58]

د–**البُعد التاريخي:**

حظّى المكان باعتناء كثير في شعرسعيد الصقلاوي واحتلّ قدراً كبيراً حتّى لا تكاد قصائده عبر دوواينه المختلفة تستوعب الأماكن التاريخية العربية والعالمية، فيشير إليها ويبرز ما تحمل من دلالات متمايزة، والمتأمّل أن الشاعر يشعر بحاجة ماسة إلى استدعاء التاريخ ويزداد هذه الشعور «كلّما تضاعفت أزمة الهوية لدى المجتمع، وتعمق الإحساس بضياع الوطن وبقدر ما يحس الشعراء بالاقتلاع من ذواتهم، والغربة في أرضهم، يتعزز ارتباطهم بالشخصية ويتكاثف جهدهم في بناء مدن متخلية باللغة، أو تصوير أوطان حلمية من خلال التاريخ» (59).

◄ **إرَم**

«أنّ "إرم" كانت عاصمة قبيلة عاد إلى الجنوب من الجزيرة العربية، وكانت مشهورة بأعمدتها المرتفعة. يقال إنّ شدّاد بن عاد بعد أن ملك جميع الدنيا، وسمع بالجنة أمر ألف أمير من جبابرة قوم عاد أن يبنوا له مدينة تشبهها في جمالها وفخامتها، وأن تكون مدينة من ذهب وفضة وجواهر. فخرج اولئك الأمراء، ومع كلّ أمير ألف رجل من خدمه وحشمه، وساروا حتّى وجدوا ارضاً واسعةً، طَيبة الهواء، وأعجبتهم تلك الأرض، فأمروا المهندسون والبنائين بتخطيط مدينة عجيبة. وبنيت مدينة "إرم" فكانت فتنة باهرة العيون» (60)، وقد ورد في معجم ألفاظ القرآن الكريم في كلمة إرَم «قيل: اسم بلدة عاد،كانت أبنيتهم عالية، أو من الخيام ذات العماد» (61).

فأنشد الصقلاوي في قصيدة "شمس التاريخ" أسطراً رائعةً حول المدينة التاريخية "إرم": (62)

وبنى عادٌ إرماً مِن آياتِ الزمنِ/ صارت إبداعاً للإنسانِ وللمُدنِ/ طَسمٌ وجديسُ وعِمليقٌ جُندُ الوطنِ/ بالبَذلِ غَدوا أرضي وبحبٍ كالمُزُنِ/ فيدُ سلمُ ويدُ حربٌ، فوقَ المِحنِ

مزج الشاعر في هذه الأبيات البارزة الدلالة القرآنية والدلالة التاريخية لتكونا مصدراً غنياً للإلهام الشعري ولتعطيان إضاءة وتألق لشعره، بحيث اقتبس من سورة الفجر التي يقول سبحانه وتعالى «إرم ذات العماد» زيادة تعريف بـ "إرم" بأنّ هذا المكان التاريخي الرفيع البنيان آية من آيات الزمن التليد الذي تركوه قومه فأصبح إبداع وابتكار وبصمة جوهرية للآخرين ولقبائل العمانية (طسم وجديس وعمليق) الذي سمّاهم الصقلاوي جنود الوطن.

◄**أهرام مصر**

تعتبر الأهرامات من أهمّ المعالم التاريخية والفنّية التي تقع في منطقة ممفيس قديماً ومنطقة الجيزة حالياً في الضفة الغربية لنهر النيل، وبسبب هيكلها البنائي المعقد والغامض التي لم يتم اكتشافه حتى الآن، أصبحن من عجائب الدنيا السبعة. وشُيّدت هذه الأهرامات منذ آلاف وأعوام بقصد دفن الفراعنة الملوك وإدخال الطعام والشراب والذهب معهم بعد تحنيطهم.

استخدم الصقلاوي الأهرام في مقطوعته الشعرية "صريع الوطن" ليبرز عن حبه القديمي لوطنه فيقول: (63)

وارتَوى شريانُ نيلِ/ كم روى مصر وأدلَـت/ وصحا كالـفجرِ حُـلـمٌ/ كم له الأهرامُ صلّـت

لقد كان لسعيد الصقلاوي رغبة شخصية صامدة في الوقوف إلى محطات تاريخ الوطن العربي وإلى جانبها اتخاذ البُعد المكاني لتطّور وازدهار أفكاره وأشعاره، إذ تشكّل بَهاء وسناء الوطن منطلقاً خصباً لقصائده الفريدة والمشرقة، وكان يتحدّث عن ذلك بكلّ اختيال وتفاخر ومشاعر حبّ بما حصل عليها من تاريخ مجيد. الشاعر في هذه المقطوعة جعل حبّ مصر والصيانة عنه مصدر زَهو وتبجّح لكلّ من صانه ودافع عنه، فنرى الأهرام بجبروتها وعجرفتها تجثّت أمام الوطن وكذلك قد ذُكر نهر نيل باعتبار شريان الحضارة المصرية القديمة وكانت من أهمّ البواعث التي أدت إلى تقدّم ورقّي أرض مصر.

الخاتمة

وفي ختام بحثنا المتواضع اتّضح لنا أنّ مفهوم الهُويّة لا يتحدّد وفق تعريف واحد، وإنّما هو مفهوم متعدد الأطراف وله أبعاد شائكة ومندمجة بينما يتصل بالحقل الفلسفي، وعلم الاجتماع، والمنطق وعلم النفس وغيره، وهذا الأمر أدّى إلى ظهور تعريفات عديدة ومختلفة، فالحديث عن معاني الهُويّة يرغم الباحث إلى استقصاء بسِماتها في النصوص الشعرية من حيث ترابط المكان بالسياق الشعرى التي خَلَق الهُويّة والانتماء والإصالة. في السنوات الأخيرة ازداد الاهتمام بدراسة المكان في الأدب بشكل عام والشعر بشكل خاص من خلال ارتباطه بأحداث الشاعر أو الأديب الذي يشارك في مساعدة الإنشاء النصّي وأيضاً المكان له أهمية بالغة في تشكيل الفضاء الدلالي الذي يجعل النصوص واضحة وجلية، فلهذا السبب تناولنا في هذا البحث دراسة تجليّات المكان ودلالاته على الهُويّة في شعر سعيد الصقلاوي.

احتلّ المكان لدى شاعرنا مكانة كبيرة وهامّة ولم يكن المكان مجرد حيّزاً جغرافياً وديكوراً للأحداث إنّما كان جزء لايتجزء من بنية النص وماهيته، وذلك من خلال إعطائه أبعاد ودلالات مختلفة في النسيج الشعري كالبُعد النفسي ليعبّر عن انفعالاته النفسية ومشاعره المشوبة بالحبّ والحنان والودّ، خاصة إذا كان الحديث عن المحبوب أو الوطن. ويمثّل البعد الديني في استدعاء الشخصيات الدينية لأنّ تحّل الأراضي المقدسة أشرف الأماكن التي يرغب المؤمن أن يزورها ويستنشق من نفحات تلك البقاع الطاهرة. وفي البُعد الوطني أبان الشاعر في قصائده عن التعلق بالوطن والالتزام بقضاياه والدعوة إلى الوحدة العربية كما تحضر الأمكنة الفلسطينية، خاصة القدس بشكل كثيف في دواوين الصقلاوي حتى يمكن للقاريء أن يظنّ الشاعر فلسطينياً، وهذا يدلّ أنّ الوطن عند الصقلاوي لا يقتصر على عمان فقط، بل امتّد ليضمّ الوطن العربى كلّه. وأخيراً في البعد التاريخي ذَكَر أهمية ودور الأماكن الذي له مكانة خاصة في استرجاع واذكّار الأحداث والذي يُعدّ قسم من شخصية وهُويّة الأفراد.

المراجع والمصادر:

(1) معلوف، أمين، ترجمة: نبيل محسن، (1999)، «الهويات القاتلة "قراءات في الانتماء والعولمة" »، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، ص25.

(2) حافظ عبدالرحمن، برهان، (2010)، «دور التعليم في تعزيز الهوية الفلسطينية وأثره على النمية السياسية من وجهة نظر الطلبة والعاملين جامعة النجاح أنموذجا»، جامعة النجاح الوطنية، ص 3.

(3) سعدون، حازم حسن، (2014)، «تجليات المكان في شعر السَّريِّ الرَّفاء»، العدد210، المجلد الأول، مجلة الأستاذ،كلية التربية، جامعة المستنصرية، ص148-147.

(4) حافظ الحنفاوي، أماني، (لا تا)، «هوية المكان في روايتي عمارة يعقوبيان لعلاء الاسواني و لاسكالا لنور عبدالمجيد دراسة مقارنة»، مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية، ص339.

(5) باشلار، غاستون. مترجم هلسا غالب (1984)، «تجليات المكان»، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.

(6) سمية، نواوي (2017)، «جمالية المكان عند الطيب صالح في روايته موسم الهجرة إلى الشمال أنموذجاً»، جامعة بوضياف المسيلة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

(7) حسن سعدون، حازم، (2014)، «تجليات المكان في شعر السَّريِّ الرَّفَّاء»،عدد 210، مجلة الأستاذ، الجامعة المستنصرية، العراق.

(8)حسنين، حسن حنفي (2012م)، «الهوية»، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة.

(9) محمود حمدان، يوسف حسين (2007)، «الهوية وتجلياتها السردية في أعمال إميل حبيبي»، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية.

(10) الهاشمي، شاكر و حوراء منعم (2020م)، «الهوية في شعر حسن سالم الدباغ»، مجلة لارک للفلسفة و اللسانيات والعلوم الاجتماعية، المجلد3. العدد 38.

(11) مصطفى، هشام (2018)، سعيد الصقلاوي شاعر بحجم الألم، دراسة بنيوية لديوانيّ نشيد الماء وأجنحة النهار»، ط1، عمان – الأردن، دار دجلة.

(12) عبدالرحمن السيد، محمد (2007م)، «بنية القصيدة عند سعيد الصقلاوي (اللغة- الصورة- الإيقاع)»، مصر، جامعة الفيوم.

(13) بلاوي، رسول (2020م)، «المرجعية التاريخية وأبعادها الأيديولوجية في ديوان "وصايا قيد الأرض" للشاعر سعيد الصقلاوي»، المجلد 4، العدد 2، مجلة المفكر، جامعة الجزاير.

(14) سعدي، انشراح (2018م)، «الاتّساق والانسجام في وصيا قيد الأرض للشاعر العماني (سعيد صقلاوي)»، منشور في العدد الأربعون، مجلة اللغة العربية، الجزائر.

(15) اللواتي، إحسان بن صادق، (2017)، «النقد النصي (مقاربات شعرية)، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت – لبنان. ص159.

(16) ناصر بوحجام، محمد بن قاسم (2020)، «ما تبقى من صحف الوجد»، للشاعر سعيد الصقلاوي»، عالم الثقافة، ،ص 1www.woridofcuiture2020.com، .

(17) محمد ثلجي الحنيطي، عاصم، (2017)، «المكان في شعر أمجد ناصر»، كلية الدراسات الجامعة الأردنية، ص35.

(18) عيسى البعول، فاطمة، (2006) «المكان في شعر حيدر محمود»، جامعة اليرموك، ص7.

(19) ابن منظور،(لا تا)، «لسان العرب»، دارصادر بيروت ، جلد15، ص167.

(20) مجموعة من الباحثين، (لا تا) المنجد في اللغة والأعلام، دارالمشرق، بيروت، ط 43. ص875.

(21) الجرجاني، علي بن محمد، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي (1413)، «معجم التعريفات»، دار الفضيلة للنشر، مصر، ص216.

(22) حمود، فريال (2011)، «مستويات تشكّل الهوية الاجتماعية وعلاقتها بالمجالات الأساسية المكونة لها لدى عينه من طلبة الصف الأول الثانوي من الجنسين»، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، كلية التربية.ص 561.

(23) أبوعنزة،محمد عمر أحمد، (2011)، واقع إشكالية الهوية العربية: بين الأطروحات القومية والإسلامية "دراسة من منظور فكري"،كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، ص 37.

(24) عبدالرحمن الرّقب، سعيد محمد، (2006)، الهوية الثقافية في الفكر التربوي العربى المعاصر وتحديات المستقبل، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ص 50–51.

(25) ابن منظور،(لا تا)، «لسان العرب»، دارصادر بيروت ، مجلد13، ص414.

(26) مجمع اللغة العربية، (2004)، «المعجم الوسيط»، ط الرابعة، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ص 806.

(27) البستاني، بطرس (1987)، «محيط المحيط»، مكتبة لبنان، بيروت، ص 859.

(28) الفراهيدي، الخليل بن أحمد (2003)، «كتاب العين»، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، ص 161.

(29) سورة يس/ 16.

(30) سورة مريم /57.

(31) سوره ق /41.

(32) شلاش، غيداء أحمد سعدون، (2011)، «المكان والمصطلاحات المقاربه له – دراسة مفهوماتية»، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، المجلد 11، عدد 2، ص 244–245.

(33) الجرجاني، علي بن محمد، تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي (1413)، «معجم التعريفات»، دار الفضيلة للنشر، مصر، ص191.

(34) شلاش، غيداء أحمد سعدون، (2011)، «المكان والمصطلاحات المقاربه له – دراسة مفهوماتية»، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، المجلد 11، عدد 2، ص 245.

(35) بن شعبي، دلال، (2013)، «تجليات المكان في رواية "على الضفة الأخرى من الوهم" لحبيب مونسي»، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، ص 38.

(36) سمية،نواوي، (2017)، «جمالية المكان عند الطيب صالح في روايته موسم الهجرة إلى الشمال أنموذجا»، جامعة محمد بوضياف المسيلة، ص 21.

(37) بن حمادة، فضيلة، بن يوسف، سمية، (2020)، «جماليات المكان في شعر حسان بن ثابت»، المركز الجامعي عبدالحفيظ بوالصوف لميلة، الجمهورية الجزائرية، ص50.

(38) المصدر نفسه، ص50–51.

(39) الصقلاوي، سعيد، (2004)، «نشيد الماء»، مطابع النهضة.ش.م.م، مسقط، ص 65.

(40) الصقلاوي، سعيد، (1985)، «أنتِ لي قدر»، ط1، ص 8.

(41) نفسه، ص 75– 74.

(42) مجناح، جمال، (2008)، «دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد 1970»، جامعة الحاجر لخضر– باتنة، ص403.

(43) الصقلاوي، سعيد، (1975)، «ترنيمة الأمل»، منورات وزارة الإعلام والثقافة، مسقط، ص 24.

(44) الصقلاوي، سعيد، (2015)، «وصايا قيد الأرض»، الطبعة 1، المركز الدولي للخدمات الثقافية، ص 50–49.

(45) الشيخ ابى اسحاق الفارسى معروف بالاصطخرى، (لا تا)، «الأقاليم»، ص30.

(46) الضياء المقدسى، محمد بن عبدالواحد الحنبلى، «صحاح الأحاديث فيما اتفق عليه أهل الحديث»، الجزء الرابع، دار الكتب العلمية، لبنان، 1971، ص151–150.

(47) الصقلاوي، سعيد، (2015)، «وصايا قيد الأرض»، الطبعة الأولى، المركز الدولي للخدمات الثقافية، ص 123–122.

(48) بن مناور خلف العنزي، نايف، (2014)، «المكان في الشعر السعودي الحديث في العقدين الأخيرين»، كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية، ص75.

(49) الصقلاوي، سعيد، (2004)، «نشيد الماء»، مطابع النهضة.ش.م.م، مسقط، ص 70.

(50) المصدر نفسه، ص 72.

(51) الصقلاوي، سعيد، (1975)، «ترنيمة الأمل»، منورات وزارة الإعلام والثقافة، مسقط، ص 21.

(52) المصدر نفسه، ص98.

(53) عوض أبو شنب، عبدالمنعم، (2010)، «الوطنية في شعر محمد المهدي المجذوب»، جامعة شندي– كلية الدراسات العليا، ص 15.

(54) الصقلاوي، سعيد، (1975)، «ترنيمة الأمل»، منورات وزارة الإعلام والثقافة، مسقط، ص 143.

(55) الصقلاوي، سعيد، (1985)، «أنتِ لي قدر»، ط1، ص 33.

(56) الصقلاوي، سعيد، (1975)، «ترنيمة الأمل»، منورات وزارة الأعلام والثقافة، مسقط، ص 118

(57) الصقلاوي، سعيد، (1999)، «أجنحة النهار»، الطبعة 1، مطابع النهضة، مسقط، ص 84.

(58) الشطي، عبدالفتاح، (2007)، «التوجه الوطني في شعر سعيد الصقلاوي "الرؤية – أداة الفنية"»، مركز الدراسات الشرقية مركز القاهرة، ص 15.

(59) خرفي، محمد الصالح، (لا تا)، «البعد التاريخي والديني في الشعر الجزائري المعاصر "شعر المكان أنموذجا"»، جامعة جيجل، ص145.

(60) صحراوي، عبدالسلام، (2009)، «الرحلة إلى "إرم ذات العماد" (المدينة المحجوبة)، بين جبران ونسيب عريضة، كلية الآداب واللغات جامعة منتوري قسطنية الجزائر، ص155.

(61) مجمع اللغة العربية والإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث جمهورية مصر العربية 1988. ج1– من الهمزة إلى الضاد، «معجم ألفاظ القرآن الكريم»، ج1– من الهمزة إلى الضاد، ص 49.

(62) الصقلاوي، سعيد، (2015)، «وصايا قيد الأرض»، الطبعة الأولى، المركز الدولي للخدمات الثقافية، ص 83–82.

(63) الصقلاوي، سعيد، (1999)، «أجنحة النهار»، الطبعة الأولى، مطابع النهضة، ص 115.